***Dirasat*: Shari'a and Law Sciences, Volume 49, No. 1, 2022**

Deanship of Scientific Research

The Extent of Imam al-Bukhari's Influence on the Iraqi School of Hadith and his Influence on it: Analytical and Critical Study

Haifa M. Al-Ziadah, Najah M. Al-Azzam*

Department of Fundamentals of Religion, College of Sharia and Islamic Studies, Yarmouk University, Jordan.

Received: 21/3/2021
Revised: 24/5/2021
Accepted: 23/6/2021
Published: 1/3/2022

* ***Corresponding author:***
najah.az@yu.edu.jo

Al-Ziadah, H. M. ., & Al-Azzam, N. M. . (2022). The Extent of the Influence of Imam al-Bukhari on the Iraqi School of Hadith and his Influence on it: An Analytical and Critical Study. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, *49*(1), 1–13. https://doi.org/10.35516/law.v49i1.813

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: To show the extent to which Imam Al-Bukhari influenced and influenced by the Iraqi School of Hadith, by exploring his scientific trips to the main cities and metropolises of Iraq. Another objective is to mention the most prominent Iraqi sheikhs and their impact on shaping Al-Bukhari's Hadith personality, and to show the most prominent of his students who learned from him in this pioneering school and its impact on the formulation and refinement of their scientific personalities.

Methods: It is represented by tracing the threads of the issue in the books that are concerned with mentioning the scientific journeys of scholars in their pursuit for hadith. An analytical and critical approachs are applied by analyzing and criticizing that information to find out the extent of Imam Bukhari's influence on and being influenced by the Iraqi school.

Results: Imam Al-Bukhari seemed independent in his unique critical mentality, as he relied on himself more than on his sheikhs in judging the narrators and their narrations.

Conclusions: The study recommends that the scientific and academic circles pay attention to what is related to the Iraqi Hadith School, in terms of identifying it's approaches, its most prominent scholars, and its influence and impact on other schools.

Keywords: Iraqi school, sheikhs of Al-Bukhari, students of al-Bukhari

مدى تأثر الإمام البخاري بمدرسة الحديث العر اقية، وتأثيره فيها: دراسة تحليلية نقدية

هيفاء مصطفى الزيادة، نجاح محمد العزام*

قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.

ملخّص

الأهداف: بيان مدى تأثر الإمام البخاري وتأثيره بمدرسة الحديث العراقية، باستطلاع رحلاته العلمية لمدن العراق وحواضرها الرئيسة، وذكر أبرز شيوخه العراقيين وأثرهم في تشكيل شخصيته الحديثيّة، وبيان أبرز تلاميذه الذين نهلو من معينه في هذه المدرسة الرائدة وأثره في صياغة وصقل شخصياتهم العلميّة.

المنهجية: المتمثل بتتبع خيوط المسألة في كتب التراجم التي تُعنى بذكر الرحلات العلمية للعلماء في طلب الحديث، ثمّ المنهج التحليلي والنقدي: وذلك بتحليل تلك المعلومات ونقدها لمعرفة مدى تأثر الإمام البخاري وتأثيره بالمدرسة العراقية.

النتائج: بدا الإمام البخاري مستقلاً في عقليته النقدية الفذة حيث اعتمد على نفسه أكثر من اعتماده على شيوخه في الحكم على الرواة ومروياتهم.

التوصيات: توصي الدراسة الأوساط العلميّة والأكاديميّة بالعناية بما يتعلق بمدرسة الحديث العراقية، من حيثُ معرفة مناهجها وأبرز أعلامها، وتأثرها وتأثيرها في المدارس الأخرى

الكلمات الدالّة: المدرسة العراقية، شيوخ البخاري، تلاميذ البخاري.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ساهمت مدرسة الحديث العراقية في تشكيل وتكوين العديد من الشخصيات الحديثيّة البارزة، ساعدها في ذلك مجموعة من العوامل السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة جعلت منها مورداً للعلم ومقصداً للعلماء، ومحطّ رحال العديد من المرتحلين في طلب الحديث.

وكان الإمام البخاري – أمير المؤمنين في الحديث- صاحب أصح كتاب بعد القرآن الكريم بإجماع الأمة عبر كافة العصور، من جملة العلماء الذين كان لهم تأثر، أعقبه تأثير في المدرسة الحديثيّة العراقية، فقد ثبت أنّه دخل العراق بأقطارها المتعددة أكثر من مرة مستفيداً ومُفيداً.

أهمية الدراسة:

تستمدُّ هذه الدراسة أهميتها من أهمية مدرسة الحديث العراقية التي ساهمت مع مثيلاتها من مدارس الأمصار الإسلامية في النهضة الحديثيّة التي بلغت ذروتها في القرن الثالث للهجرة أي في عصر الإمامين البخاري ومسلم وأصحاب الكتب الستة، كما وتستمدها من أهمية الإمام البخاري، إمام أهل الحديث والفقه في زمانه، والمقدم في الرواية والدراية على كلّ أقرانه.

مشكلة الدراسة

يُتوقع من هذه الدراسة أن تُجيب عن الأسئلة الآتية:

1- ما مدن العراق التي دخلها الإمام البخاري في رحلاته العلمية؟

2- مَن هم شيوخ الإمام البخاري العراقيين، وهل لهم تأثير على شخصيته الحديثيّة؟

3- مَن هم تلاميذ الإمام البخاري العراقيين، وما مدى تأثرهم بشخصيته الحديثيّة؟

أهداف الدراسة

وللإجابة عن الأسئلة السابقة تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1- استطلاع رحلات الإمام البخاري العلمية لمدن العراق.

2- ذكر أبرز شيوخ الإمام البخاري العراقيين، ومدى تأثيرهم على شخصيته الحديثيّة.

3- بيان أبرز تلاميذ الإمام البخاري العراقيين، ومدى تأثرهم في شخصيته الحديثيّة.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتفتيش في الكتب والدراسات ذات العلاقة بالموضوع لم نقف على دراسة تناولت الحديث عن: "مدى تأثر وتأثير الإمام البخاري بمدرسة الحديث العراقية"، وإن كانت كتب التراجم بشكل عام تزخر بالترجمة للإمام البخاري، وتذكر رحلاته في طلب العلم إلى الأمصار الكثيرة، ومنها العراق.

منهجية الدراسة:

ستتّبع الدراسة المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع خيوط المسألة في كتب التراجم التي تُعنى بذكر الرحلات العلمية للعلماء في طلب الحديث، ثم المنهج التحليلي والنقدي: وذلك بتحليل ونقد تلك المعلومات ونقدها لمعرفة مدى تأثر الإمام البخاري وتأثيره بالمدرسة العراقية.

خطة الدراسة:

ولتحقيق أهداف الدراسة آنفة الذكر قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، وخطتها.

المبحث الأول: مدرسة الحديث العراقية والإمام البخاري.

المطلب الأول: التعريف بمدرسة الحديث العراقيّة.

المطلب الثاني: التعريف بالإمام البخاري.

المطلب الثالث: رحلة الإمام البخاري إلى العراق ولقاؤه بكبار المحدثين فيها.

المبحث الثاني: جوانب تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين وتأثيره بتلاميذه.

المطلب الأول: تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين في علم الحديث رواية ودراية.

المطلب الثاني: تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين في علم الرجال والجرح والتعديل.

المطلب الثالث: تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين في ميدان علم العلل والنقد الحديثي.

المطلب الرابع: تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين في صناعة الفقه وأصوله.

المطلب الخامس: تلاميذ الإمام البخاري العراقيين، ومدى تأثيره في صياغة شخصياتهم العلميّة وصقلها.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج وتوصيات الدراسة.

والله وليُّ التوفيق

المبحث الأول: الإمام البخاري ومدرسة الحديث في العراق

المطلب الأول: التعريف بمدرسة الحديث العر اقيّة

المقصود بالمدرسة كما ورد في المعجم الوسيط: "مكان الدَّرس والتعليم"، "وجماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك" (مصطفى إبراهيم وآخرون، د.ت، 280/1).

أمّا المدرسة الحديثية كمركب إضافي؛ فقد تم تعريفها بأكثر من تعريف، نجد أنّ من أجمعها وأمنعها تعريف الدكتور مصطفى أبو عمارة الذي عرّفها بأنّها: "الحركة العلمية، وليس البناء الخاص بالتعليم" (مصطفى أبو عمارة، 2010، ص9)، والحركة العلمية لأي مدرسة تتشكل من الشيوخ والتلاميذ والمناهج العامّة لتلك الحركة ضمن إطار زماني ومكاني.

وفي سياق تعريفنا لمدرسة الحديث العراقية (ونقصد بها هنا: البصرة، والكوفة، وواسط، وبغداد)، نودّ الإشارة إلى أنّنا إذ أفردنا الكلام للتعريف بمدرسة الحديث العراقية، لا يعني هذا بحال من الأحوال أنّ هذه المدرسة كانت تختلف عن غيرها من مثيلاتها في ذلك الوقت- كمدرسة الحديث الحجازيّة، أو المصريّة، أو المغربيّة...-، في المناهج والملامح العامّة المشتركة بين أهل التخصص الواحد، وتعارف المحدثون عليها، وإنّما الاختلاف يكمن في أسماء الرواة من الصحابة، ومن بعدهم ونشاطهم وما لهم من تأثير علمي في هذا المصر أو ذاك، كما أوضح ذلك الدكتور حميد القوفي في مقدمة بحثه: "مدرسة الحديث في الكوفة" (حميد القوفي، ص:9- 10).

وهذا هو عين ما أثبته الدكتور أمين القضاة في كتابه: "مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري"، فقد ذكر أنّه: "إذا رجعنا إلى كتب مصطلح الحديث وأصوله، لا نكاد نجدُ منهجاً مميّزاً للعلماء البصريين في علم أصول الحديث، كما هو عليه الشأن بالنسبة للمذاهب الفقهية، أو المذاهب النحوية... أمّا علم مصطلح الحديث، فإنّه في القرون الأولى لم يكد يتعدّى آراء متفرقة هنا وهناك لجهابذة علم الحديث، بعضهم بصري وبعضهم كوفي، وبعضهم مدني وبغدادي وهكذا... وكذلك فإنّا لا نكادُ نجدُ رأياً انفرد به البصريون كلهم عن سائر علماء الأقطار الأخرى" (أمين القضاة، 1998، ص:365).

وقد أرجع الدكتور القضاة السبب في عدم اختلاف المناهج بين علماء الحديث في الأمصار المختلفة إلى التمازج الذي كان بينهم في الآراء والأفكار، والذي كان سببه الرحلة في طلب العلم، وعدم الاقتصار على شيوخ بلدانهم وحسب.

أمّا إذا أردنا تتبع نشأة المدرسة الحديثيّة في العراق، فهي كغيرها من المدارس التي انبثقت من الواقع الحضاري الذي كان سائداً آنذاك، فالعلم مفتاح الحضارة التي: "تبدأُ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحرّرت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها" (وليام ديورَانت، 1988، 3/1)

ونتيجة للازدهار الحضاري في العراق، ازدهرت الحركة العلمية في أقطاره المختلفة، (كالبصرة والكوفة وبغداد وواسط وغيرها..)، وقد وضّح ابن خلدون هذه العلاقة في سياق حديثه عن العلوم التي تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، حيث قال: "واعتبر ما قرّرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لمّا كثر عمرانها صدر الإسلام، واستوت فيها الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم، وتفنّنوا في اصطلاحات التّعليم وأصناف العلوم، واستنباط المسائل والفنون حتّى أربوا على المتقدّمين وفاتوا المتأخّرين" (ابن خلدون، 1988، 548/1).

المطلب الثاني: التعريف بالإمام البخاري

وهو في الحقيقة من باب التعريف بالمعرّف، فلا يوجد أحدٌ من أهل العلم يجهلُ هذا الإمام الفذّ الذي سبق عمره وزمانه بكثير، واعترف له كلّ من يقدّر العلم والعلماء بالفضل والمكانة، بل بالفرادة والإبداع، وأجمعوا على مكانته على مرّ العصور، فلا يطعن فيه أو يثير الشبهات حوله إلّا كلّ مغمور يريد الشهرة على حسابه، وسيأفل نجمه ولو بعد حين، وتذهب طعونه جُفاءً، ويبقى الصحيح منهلاً للعلم، وحقٌّ يُنتفعُ به، ويمكث في الأرض.

ومع ذلك فلا بدّ من إعطاء لمحة موجزة فيما يخص المحطات الفاصلة في حياة هذا الرجل الفذّ، هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الإمام البخاري الجعفي، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى.

مات أبوه وهو صغير، فنشأ في حِجْر أُمه، ثمّ حجّ مع أُمّه وأخيه، فأقام بمكة مجاوراً يطلب العلم، روى غنجار في تاريخ بخارى، واللالكائي في شرح السنة في باب كرامات الأولياء منه: "أنّ محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه في صغره، فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام، فقال لها: "يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره، بكثرة دعائك"، قال: فأصبح، وقد ردّ الله عليه بصره".

وقد بدأ في طلب العلم وهو صغير، يقول الفِرَبْري: "سمعتُ محمد بن أبي حاتم ورَّاق الإمام البخاري يقول: سمعتُ الإمام البخاري يقول: أُلهمت

حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب، قلتُ: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل".

وقد روى الإمام البخاري عن جمع كثير من العلماء، وأخذ العلم عنه عدد كبير من التلاميذ أيضاً، وقد أثنى العلماء على حفظه، وسعة علمه، وذكائه بعبارات كثيرة، أذكر منها مقولة محمد بن إسحاق بن خزيمة: "ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأحفظ له من محمد بن إسماعيل"، وقول أبي عيسى الترمذي: "لم أرَ بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ، ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل"، وقول مسلم: "لا يبغضك إلّا حاسد، وأشهد أنّه ليس في الدنيا مثلُك".

وأشادوا له بالأخلاق العالية فمنها تواضعه، حيث كان يقول: "لا يكون المحدِّث كاملاً حتى يكتب عمّن هو فوقه، وعمّن هو مثله، وعمّن هو دونه"، ومنها كذلك ورعه وتقواه، فقد قال: "أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنّي اغتبت أحداً" (ابن حجر العسقلاني، 1326، 1/445- 489، والذهبي، 1998، 2/555، و1985، 10/79-119، والمزي، 1989، 24/430، وأبو يعلى الخليلي، 1409، 1/958).

وقد علّق الذهبي على مقولة الإمام البخاري الأخيرة، فقال: "صدق - رحمه الله- ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل عَلِم ورعه في الكلام في النّاس، وإنصافه فيمن يُضعِّفه، فإنّه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: فلان كذاب أو كان يضع الحديث، حتى إنّه قال: "إذا قلتُ فلان في حديثه نظر: فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أنّي اغتبت أحداً، وهذا هو والله غاية الورع" (الذهبي، 1985، 1/104).

وقد صنّف الإمام البخاري- رحمه الله- التصانيف النافعة على رأسها كتابه الجامع الصحيح، الذي يقول فيه: "ما وضعتُ في كتاب الصحيح حديثاً إلّا اغتسلت قبل ذلك، وصليتُ ركعتين"، وقال: "صنفتُ الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة، وجعلته حجةً فيما بيني وبين الله" (الذهبي، 1985، 1/104).

ومنها أيضاً: التاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والأدب المفرد، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالدين، وخلق أفعال العباد وكتاب الضعفاء، وغيرها ممّا يطول المقام بذكرها.

توفي الإمام البخاري – رحمه الله- ليلة السبت، ليلة الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلّا ثلاثة عشر يوما (ابن حجر العسقلاني، 1326، 1/445- 489).

المطلب الثالث: رحلات الإمام البخاري إلى العراق ولقاؤه بكبار المحدثين فيها

لا يخفى على أحد من أهل العلم ما للرحلة في طلب الحديث من الأهميّة البالغة، لأنّها تفتح للمرتحل آفاقا واسعة في المعرفة، وتتيح له فرصة اللقاء بالعلماء من أصول ومنابت شتّى، فيتحقق التعارف الذي أشارت إليه الآية الكريمة: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات:13]، وتعمّ المعرفة وتنتشر بين المسلمين امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً" (البخاري، 1422هـ، كتاب: في أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم:3461، ج4، ص:170).

وقد بيّن ابن الأثير بعض بواعث الرحلة في طلب الحديث بقوله: "... حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذوات العدد، ويقطع الفيافي والمفاوز الخطيرة، ويجوب البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديثٍ واحدٍ ليسمعه من راويه، فمنهم من يكون الباعث له على الرّحلة طلب ذلك الحديث لذاته، ومنهم من يقرن بتلك الرغبة سماعه من ذلك الراوي بعينه، إمّا لثقته في نفسه، وصدقه في نقله، وإمّا لعلو إسناده، فانبعثت العزائم إلى تحصيله" (ابن الأثير، د.ت، 1/40- 42).

وممّا يؤكد أهمية الرحلة في طلب الحديث ما رواه الخطيب البغدادي عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل، قال: "سَأَلْتُ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَمَّنْ طَلَبَ الْعِلْمَ تَرَى لَهُ أَنْ يَلْزَمَ رَجُلًا عِنْدَهُ عِلْمٌ، فَيَكْتُبُ عَنْهُ أَوْ تَرَى أَنْ يَرْحَلَ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي فِيهَا الْعِلْمُ فَيَسْمَعُ مِنْهُمْ؟، قَالَ: يَرْحَلُ يَكْتُبُ عَنِ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ، وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ يُشَامُّ النَّاسَ يَسْمَعُ مِنْهُمْ" (الخطيب البغدادي،1359، ص:88).

وقد عدّ العلماء عدم ارتحال الراوي في طلب العلم من العيوب التي قد تؤثر في ضبطه للحديث، يقول يحيى بن معين: "أَرْبَعَةٌ لَا تُؤْنِسُ مِنْهُمْ رُشْدًا: حَارِسُ الدَّرْبِ، وَمُنَادِي الْقَاضِي، وَابْنُ الْمُحَدِّثِ وَرَجُلٌ يَكْتُبُ فِي بَلَدِهِ، وَلَا يَرْحَلُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ" (الخطيب البغدادي،1359، ص:89).

والبخاري كغيره من طلبة العلم أدرك ما للرحلة في الطلب من الفوائد العظيمة، فتنقل بجوب الأمصار المختلفة مُتعلّماً ومُعلِّماً، ومن بين تلك الأمصار كانت العراق، التي دخلها أكثر من مرةٍ واحدة، كما صرّح بذلك في قوله: "دخلتُ إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمتُ بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلتُ إلى الكوفة وبغداد مع المحدّثين" (ابن حجر، 1379، 1/448)، وعبارته الأخيرة تدلّ على كثرة عدد المرات التي ارتحل فيها إلى الكوفة وبغداد تحديداً، وهذا الدخول كان للتعلّم ابتداءً وبذل العلم وتبليغه انتهاءً.

وقد أكّد الخطيب البغدادي تلك الرحلات عندما ترجم للبخاري بقوله: "رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر.." (الخطيب البغدادي، د.ت، 2/322).

فالمتتبع لخطِّ سير العلماء في رحلاتهم للطلب يكاد يرى العراق في كلّ المحطات التي يقصدها طلبة العلم (ينظر على سبيل المثال: المحدّث الفاصل

بين الراوي والواعي، للرامهرمزي في معرض حديثه عن: الراحلون الذين جمعوا بين الأقطار(ص:229- 233)، وذلك لما وصلت إليه من قمة الازدهار الحضاري، والنشاط العلمي والفكري، فلا نتعجّب من كثرة دخول الإمام البخاري لبغداد مثلاً، وذلك لأنّها كانت: "تمثل أهمّ مركز لجميع أنواع النشاط الفكري في الفترة المذكورة، فبعد أن تأسست في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور(136-158هـ)، واتخذها العباسيون مقراً للخلافة؛ إذ بها تصبح سيدة بلدان العرب والمسلمين، وقبلةً لطلاب العلم من جميع الأمصار الإسلامية، وصارت موئلاً لكثير من الاتجاهات العلمية الناضجة التي أسهمت في تكوينها الحضاري، وهيأت لها المكانة المرموقة، وقلّما يوصف رجل بأنّه عالم أو فقيه أو محدِّث أو كاتب أو أديب... الخ إلّا إذا رحل إليها، وأخذ عن علمائها" (د. طه عبد المقصود عبد الحميد عبيَّة، 2004، 5/1).

وشخصية العالم إنّما تتشكل من مجموع الخبرات التي يُحصِّلُها، فـ" هؤلاء العلماء الذين وفدوا على بغداد من كل حدب وصوب؛ لتحصيل العلوم وإن كانوا في الأصل ينتمون إلى مدن أخرى، إلّا أنهم من الناحية العملية بغداديو الفكر والثقافة، وقد تشكلت شخصيتهم العلمية في بغداد بإشراف أساتذة وشيوخ بغدادين، وإنّ ما أنتجه هؤلاء من تراث ما هو في الواقع إلّا انعكاس لحياتهم الفكريّة والثقافيّة التي عاشوها في البيئة البغداديّة/ العراقيّة" (د. طه عبد المقصود عبد الحميد عبيَّة، 2004، 9/1).

ومّما يُدلِّلُ على المكانة العلمية التي تبوأتها بغداد بين البلدان الإسلامية ما رواه الخطيب البغدادي عن يونس بْن عَبْد الأعلى قال: "قَالَ لِي الشافعي: يا يونس دخلت بغداد؟ قَالَ: قلت: لا. قَالَ: ما رأيت الدّنيا" (الخطيب البغدادي، د.ت، 33/1)، وقال أيضاً: "بلغني عن أحمد بن أبي طاهر، قال: قيل لرجل: كيف رأيت بغداد؟ قال: الأرض كلها بادية، وبغداد حاضرتها" (الخطيب البغدادي، د.ت، 347/1).

وقد ورثت بغداد هذه المكانة من الكوفة والبصرة التي كانت: "ومنذ أكثر من نصف قرن أي منذ تأسيسها عام14هـ، كذلك الكوفة عام17هـ، وحتى بناء بغداد عام 147هـ مركزاً للحركات العلمية والفكرية حيث نبغ فيها المحدِّث والفقيه، والمفسر والمقرئ، والنحوي والمتكلم، والإخباري والنسابة وغيرهم" (د. طه عفان الحمداني،2012، ص:5).

المبحث الثاني: جوانب تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين وتأثيره في تلاميذه

أتاحت الرحلات العلمية التي قام بها الإمام البخاري في الأمصار المتعددة له فرصة لقاء عدد كبير من الشيوخ والمحدثين، وبذلك أحاط بهذا العلم من كلّ جوانبه، "وذلك أنّ الحِذْقَ في العلم، والتّفنّن فيه، والاستيلاء عليه إنّما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله" (ابن خلدون، 1988، 543/1).

وقد تتلمذ الإمام البخاري على أيدي عدد كبير من الشيوخ العراقيين، لا يمكن لدراسة بهذا الحجم أن تستوعبهم كلّهم، ولكن ما لا يدرك كلُّه لا يُترك جُلُّه، وعليه سنقتصر بذكر نماذج منتقاة لبعض شيوخ البخاري الذين سمع منهم في العراق، وكان لهم تأثير بالغ في صقل شخصيّته الحديثيّة الفذّة، حيث تعددت جوانب تأثره بهم في مجالات متنوعة فيما يخص صنوف علم الحديث وفنونه، ومن أبرز هذه الجوانب التالي:

المطلب الأول: تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين في علم الحديث رواية ودراية

وهذا الجانب أولاه الإمام البخاري عناية كبيرة كِبر حجمه، فهو بحر لا ساحل له، يحتاج رويةً في ارتياده وخوض غماره؛ لذا فقد انتقى روايات كتابه الجامع من طريق شيوخٍ عُدّوا من عمالقة الحديث وروّاده، بل وصنّاعه، فمنهم مَنْ عُرف بمزيد تثبّتٍ من الرواية حال روايتها للنّاس وأدائها لهم، بحيث لم يكن يؤخذ عليه حرف واحد: كحفص بن عمر بن الحارث الحوضيّ البصريّ، من خيرة شيوخه البصريّين: وهو: إمام، مجوّد، حافظ، قال فيه أحمد بن حنبل: "هو ثبت، متقن، لا يؤخذ عليه حرف واحد"، وقال علي بن المديني: "اجتمع أهل البصرة على عدالة أبي عمر الحوضي، وعبد الله بن رجاء. مات بالبصرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جُمَادى الآخرة سنة خمس وعشرين ومائتين" (الذهبي،1998، 354/10، وابن سعد،1968، 222/7).

لذا فقد روى عنه البخاري في صحيحه واحداً وستين حديثاً، كانت على النحو التالي: خمسة أحاديث في العقائد، وستة وثلاثون حديثاً في الأحكام، وتسعة أحاديث في التفسير، وخمسة أحاديث في السير والمناقب، وستة أحاديث في الفتن وأشراط الساعة.

ومن أجلّ شيوخه البصريين الذين عُهدَ عنهم التعمّق والتبصّر في معرفة الحديث وروايته وأفاد منهم البخاري إفادة كبيرة في هذا الجانب: علي بن المديني، وهو: "أَبُو الْحسن عَليّ بن عبد الله بن جَعْفَر بن نجيح السَّعْدِيّ، ويُقَال لَهُ: "ابن الْمَدِينِيّ كَانَ أَصله من الْمَدِينَة، ومولده بِالْبَصْرَةِ، مات بسامراء في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين (ابن حبان، 1973، 469/8، وابن حجر، 1326، 349/7، والذهبي، 1998، 14/2، والمزي، 1980، 9/21).

ويعدُّ علي بن المديني من أبرز شيوخ البخاري الذين أثّروا في تكوينه العلمي، ومنهجه الحديثي في جانب رواية الحديث ودرايته، وجوانب أخرى - سيأتي الحديث عنها لاحقاً-، ففي جانب الرواية يكاد يكون علي بن المديني من أكثر شيوخه روايةً عنه: فقد روى له في صحيحه ثلاثمائة وسبعة أحاديث، وذلك على النحو التالي: عشرة أحاديث في العقائد، ومائتان وعشرة أحاديث في الأحكام، واثنان وأربعون حديثاً في التفسير، وواحد وثلاثون

حديثاً في السير والمناقب، وأربعة عشرة حديثاً في الفتن وأشراط الساعة.

وروايته عنه بهذه الكثرة تشعر بمدى مكنته في صناعة الحديث روايةً ودرايةً، ليس هذا فحسب، بل قد عرض الإمام البخاري عليه كتابه الصحيح عندما انتهى من تأليفه، وما ذلك إلا لدرايته بما يصلح من الروايات لهذا السفر العظيم من أسفار السنّة النبويّة وما لا يصلح منها، يقول ابن حجر: "وقال العقيلي: لمّا ألّف البخاري كتاب الصحيح عرضه على: علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة، إلّا أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها، قول البخاري، وهي صحيحة" (ابن حجر، 1379، ص: 7).

وفي جانب الدراية تأثر الإمام البخاري بشيخه علي بن المديني في كثير من مسائل علم المصطلح، كمسألة حمل العنعنة على الاتصال عند المحدثين، فمذهبهم فيها أنّها تُحمل على الاتصال إذا كان هناك لقاء مع براءة من التدليس، "وأمّا البخاري وشيخه علي بن المديني فإنّهما يشترطان ثبوت اللقاء" (ابن رجب الحنبلي، 1987، 1/ 195)، وممّا يؤكدّ ذلك: قول البخاري في ترجمة إسرائيل أبو موسى: "وكَانَ نزل الهند، قَالَ لِي علي: لقيه حسين الجعفِي بمكة، وإنّما ثبت عندنا سماع الْحَسَن من أَبِي بكرة بحديث إسرائيل" (البخاري، د.ت، ج: 2، ص: 56).

وتأثره فيه أيضاً فيما يخصّ التسوية بين صيغتي الأداء (حدثنا، وأخبرنا)، فهو كشيخه من حيث عدم التفرقة بينهما فهما سواء في المعنى، ويجوز إطلاق إحدى الصيغتين على الأخرى.

ومحمّد بن بشار الذي كان بنداراً في الحديث متقناً مجوّداً لروايته، وهو: الحافظ الكبير أبو بكر بن عثمان الْعَبْدي من أهل الْبَصْرَة، وَإِنَّمَا قيل لَهُ بُنْدَار: لِأَنَّهُ جمع حَدِيث أهل بَلَده، أو لأنّه كَانَ بنداراً في الحديث، والبُندار: الْحَافِظ، كان عالماً بحديث البصرة، متقناً مجوّداً، مَاتَ فِي رَجَب سنة اثْنَتَيْنِ وَخمسين وَمِائَتَيْنِ. (ابن حبان، 1973، 111/9، والذهبي، 1998، 73/2، والمزي، 1980، 511/24).

روى عنه الإمام البخاري في صحيحه مائة وستة وثمانين حديثاً، وذلك على النحو التالي: اثنا عشر حديثاً في العقائد، وثمانية وتسعون حديثاً في الأحكام، وثلاثة وعشرون حديثاً في التفسير، وواحد وأربعون حديثاً في السير والمناقب، واثنا عشر حديثاً في الفتن وأشراط الساعة.

وقد أثنى محمّد بن بشار على تلميذه البخاري في أكثر من موضع، فعندما علم دخوله إلى البصرة قال: "اليوم دخل سيد الفقهاء" (الذهبي، 1998، 94/10)، وقال أيضاً: "لم يدخل البصرة رجل أعلم بالحديث من أخينا أبي عبد الله، قال: فلمّا أراد الخروج، ودعه محمّد بن بشار، وقال: يا أبا عبد الله موعدنا الحشر أن لا نلتقي بعد" (الذهبي، 1998، 95/10). وشهد له بالحفظ المطلق حيث قال: "حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالرّيّ، والدارِمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، ومسلم بنيسابور" (الذهبي،1998م، ص:10، ج:95).

ومن البصرة يطيب لنا التجوّل والتحوّل إلى الكوفة؛ فهي لا تقلّ شأناً وأهميّة عنها، فقد كانت موطن كبار المحدثين وحفاظه، ومنها أفاد البخاري وأجاد، حيث التقى فيها بشيوخ أجلاء كان لهم وزنهم وثقلهم في مجال رواية الحديث وإتقانه، وعلى رأسهم: شيخ الإسلام أحمد بن يونس التميمي اليربوعي الكوفيّ: قال الفضل بن زياد: "سمعتُ أحمد ابن حنبل، وسأله رجل: عمّن أكتب؟ قال: ارحل إلى أحمد بن يونس، فإنه شيخ الإسلام". وقال الذهبي: "من جلالة أحمد بن يونس عند البخاري أنّه روى أيضاً عن يوسف بن موسى عنه". مات في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائتين" (الذهبي، 1998، 10/ 457، والمزي، 1980، 375/1).

روى عنه البخاري في صحيحه ثمانية وستين حديثاً، وذلك على النحو التالي: تسعة أحاديث في العقائد، وستة وأربعون حديثاً في الأحكام، وخمسة أحاديث في التفسير، وستة أحاديث في السير والمناقب، وحديثان في الفتن وأشراط الساعة.

ويقظان الحديث: أبو نعيم الفضل بن دكين؛ ودُكَيْن لقب، واسمه عَمْرو بْن حماد الملائي الكوفي الأحول، كان ثقة مأموناً كثير الحديث حجة، ذُكِرَ عند أَحْمَد بْن حنبل، فأثنى عليه، وَقَال: "ثقة، وكان يقظان في الحديث، عارفاً بِهِ، ثم قام في أمر الامتحان ما لم يقم غيره، عافاه الله، أجمعوا على ثقته وإتقانه، حدّث عنه البخاري كثيراً، وهو من كبار شيوخه، مات بالكوفة في شعبان سنة تسع عشرة ومائتين" (ابن سعد، 1968، 369/6)، والمزي،1980، 197/23-218).

وليس أدلُّ على مدى حفظه في الرواية وإتقانه ما أُثِر عن بعض نقاد الحديث المتشددين أمثال أبي حاتم الرازي، ويحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي من مدحه وبيان عظيم قدره في الرواية، من حيث الحفظ والإتقان والتثبت، وبيّن الذهبي أنّه معدود في طبقات كبار المحدثين وقال عنه: "الحافظ، الثبت"، ونقل عن محمّد بن عبد الوهاب الفرّاء أنّه قال: "كنّا نهاب أبا نعيم أشدّ هيبة من الأمير" (الذهبي، 1/ 273).

لذا فقد أكثر الإمام البخاري من الرواية عنه في الصحيح، فقد روى عنه مائة وستة وثمانين حديثاً، وذلك على النحو التالي: سبعة أحاديث في العقائد، ومائة وستة وعشرون حديثاً في الأحكام، وسبعة عشرة حديثاً في التفسير، وواحد وثلاثون حديثاً في السير والمناقب، وخمسة أحاديث في الفتن وأشراط الساعة.

وكذا الحال في التاريخ الكبير، فقد روى عنه أربعمائة وثلاثة وثلاثين حديثاً.

وفي بغداد أفاد البخاري من شيخ الإسلام، وسيد المسلمين في عصره، الحافظ الحجة: أحمد ابن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثمّ البغدادي، وهو ثقة، ثبت، صدوق، كثير الحديث، قال الشافعي: خرجتُ من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه

من أحمد بن حنبل، وقال علي بن المديني: "إنّ الله أيّد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة، وقال أبو عبيد: انتهى العلم إلى أربعة أفقههم أحمد، وقال ابن معين: أرادوا أن أكون مثل أحمد والله لا أكون مثله أبدًا، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين" (البخاري، د.ت، 5/2، والذهبي، 1998، 15/2، وابن سعد، 1968، 253/7).

وكما شهد شيوخ الإمام أحمد له بالحفظ والإتقان، شهد هو أيضاً لتلميذه البخاري بذلك حيث قال: "انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، والحسن بن شجاع البلخي" (الخطيب البغدادي، د.ت، 22/2).

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن الإمام أحمد بن حنبل في ثلاثة مواضع، مرة بواسطة، ومرتان دون واسطة (البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: ما يحل من النساء وما يحرم، رقم:5105، ج9، ص:57، وكتاب اللباس، باب: هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر؟ رقم: 5879، ج10، ص:328، وكتاب المغازي، باب: كم غزا النّبي -صلى الله عليه وسلم-؟ رقم: 4473، ج7، ص: 760)، وقد علّل ابن حجر العسقلاني سبب عدم إكثار الإمام البخاري التحديث عن الإمام أحمد بقوله: "وكأنّه لم يُكثر عنه؛ لأنّه في رحلته القديمة لقي كثيراً من مشايخ أحمد؛ فاستغنى بهم، وفي رحلته الأخيرة كان أحمد قد قطع التحديث، فكان لا يحدُّث إلّا نادراً فمن ثمّ أكثر البخاري عن علي بن المديني دون أحمد" (ابن حجر، 151/10).

وأفاد فيها أيضاً من شيوخٍ أثبات اتسمت رواياتهم بالعلو في أسانيدها، مع إقامتهم للحديث على لفظٍ واحد دون تغييره، ومن هؤلاء: علي بن الجعد بن عبيد الجوهري : مولى بنى هاشم من أهل بغداد، وكان مولده سنة ست وثلاثين ومائة، وكنيته أبو الحسن، قال الطيالسي: سمعت يحيى بن معين يقول: "علي بن الجعد أثبت البغداديين في شعبة، قلت له: فأبو النضر؟ قال: وأبو النضر، وقال أبو زرعة: كان صدوقاً في الحديث، وقال أبو حاتم: كان متقناً صدوقاً، ولم أر من المحدثين من يحفظ، ويأتي بالحديث على لفظ واحد لا يغيره سوى قبيصة، وأبي نعيم في حديث الثوري، ويحيى الحماني في حديث شريك، وعلي بن الجعد في حديثه، مات يوم الإثنين في آخر رجب ببغداد سنة ثلاثين ومائتين" (ابن حبان، 1973، 466/8، والمزي، 1980، 341/20).

وقد روى عنه البخاري في صحيحه أربعة عشرة حديثاً، وذلك على النحو التالي: حديثان في العقائد، وعشرة أحاديث في الأحكام، وحديثان في السير والمناقب.

المطلب الثاني: تأثر الإمام البخاري بشيوخه العر اقيين في علم الرجال والجرح والتعديل

نبغ الإمام البخاري -رحمه الله- في علم الرجال والجرح والتعديل، وليس أدلّ على تضّلعه فيه ما صنّفه من مصادر متخصصة في هذا المجال الرائد من مجالات علوم الحديث، وعلى رأسها: كتاب التاريخ الكبير الذي يُعدُّ من كتب التراجم العامّة، حيث ترجم فيه لجميع الرواة على اختلاف طبقاتهم ثقات كانوا أو ضعفاء، وأودع فيه من أسرار الصنعة الحديثيّة الشيء الكثير الوفير، مختصراً لتراجم من ذكرهم فيه، مركزّاً على قضايا اللقاء والسماع اللذين يعرف بهما اتصال الأسانيد من انقطاعها...، علاوة على ذلك أقواله فيهم توثيقاً أو تجريحاً منفرداً عن غيره من أئمّة الجرح والتعديل بعبارات خاصة تحمل دلالات بعينها، كقوله على سبيل المثال في حقّ بعض الرواة: "فيه نظر"، أو "سكتوا عنه"، أو "منكر الحديث".

ومن مصادره الأخرى المتخصصة في علم الرجال والجرح والتعديل: كتاب الضعفاء الصغير، وهو من اسمه خاص بتراجم الرواة الضعفاء، حيث رتبه وفق حروف الهجاء، وترجم لكل راوٍ منهم بترجمة مقتضبة اقتصر فيها على ذكر اسم الراوي، واسم أبيه، ومن روى عنهم، وسمع من بعضهم، ومن ثمَّ الحكم عليه بالضعف والوهم. هذا بالإضافة إلى أقواله النقديّة المبثوثة في كتاب العلل الكبير، فهو وإن كان من تصنيف الإمام الترمذي، إلا أنّ جلّ ما فيه من توثيق الرواة وتجريحهم، وتصحيح الروايات وتضعيفها هو من فكر البخاري ونقده.

وقد بدا ذوق الإمام البخاري رفيعاً في كتبه سابقة الذكر، حيث كان يكسو ألفاظه أحسنها، ونهج فيها منهجاً وسطاً في ذكر ما للراوي وما عليه دون شطط أو زلل، وممّا يؤكدّ ذوقه وأدبه أنّه كان ينتقي من ألفاظ الجرح المشار إليها سابقاً ما ليس فيه تجريح مباشر للراوي موطن الترجمة.

ومن أجلّ شيوخه الذين أثّروا في فكره ومنهجه الذي سلكه في علم الرجال والجرح والتعديل:

1- من الكوفة: شيخه أبو نعيم الفضل بن دكين، فهو من أئمّة هذا الشأن، حيث ذكره الذهبي في الطبقة الثالثة ممّن يعتمد قولهم في الجرح والتعديل (الذهبي، 1990، ص: 181)، وكان على دراية كبيرة بالرجال وأحوالهم وأنسابهم، وقد اعتدَّ البخاري بأقواله بحقّ بعض الرواة جرحاً وتعديلاً في تاريخه الكبير، ومن الشواهد التطبيقيّة على تأثره به:

أولاً. اعتماد أحكامه في جانب توثيق الرواة، ومن ذلك:

* جراح بن الضّحاك الكِنْديّ، قال البخاري: "أصلَهُ كوفي، قَالَ أَبُو نعيم: هو جارنا، وأثنى عليه خيراً" (البخاري، 2/ 228).

ثانياً. اعتماد أحكامه في جانب تجريح الرواة، ومن ذلك:

* اعتمد الإمام البخاري قول أبي نعيم في ترجمة إسحاق بن يزيد بن كعب بن عجرة وذلك بعدما ذكر روايته عَنِ ابْن حبان عَنِ ابْن محيريز عَنْ

عُبَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ" (أحمد، 2001، 366/37، والحديث إسناده رجاله ثقات)، حيث قال: فاللَّه أعلم بِهِ يَعْنِي بِإِسْحَاق أَنَّهُ محفوظ أم لا؛ لأنّ إِسْحَاق لَيْسَ يعرف إلا بِهَذَا، لا أدري حفظه أم لا (أحمد، 2001، 388/1).

* بَزِيع بن عبد الله اللحام، وفي ترجمته قال البخاري: "كان أبو نعيم يتكلّم فيه" (البخاري، د.ت، 130/2).

ثالثاً. كما اعتمد على أحكامه بعدم صحة بعض الروايات كما في هذا الشاهد، حيث قال: "وَقَالَ لَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا ابن أبى ذئب عن اسحاق بن يزيد عَنْ عَوْنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُود عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلا يصح" (البخاري، د.ت، 1/ 33).

2- ومن البصرة: فقد بدا تأثر الإمام البخاري بشيخ شيوخها علي بن المديني واضحاً للعيان بحيث لا يختلف فيه اثنان لا سيما في ميدان العلل والنقد للرجال، فهو القائل غير مرّة: "ما تصاغرتُ نفسي عند أحد إلّا عند علي بن المديني، فذُكِر لعلي بن المديني قول البخاري هذا، فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه" (النووي، د.ت، 69/1)، ومن الشواهد التطبيقيّة على تأثره به:

أولاً. اعتماد أحكامه في جانب توثيق الرواة:

* توثيقه لغُنْدر (محمد بن جعفر): قال البخاري: "قال لي عليّ: هو أحبّ إليّ من عَبْد الرَّحْمَن فِي شُعْبَة، قَالَ لي علي: وجالس غندر شُعْبَة نحواً من عشرين سنة" (البخاري، د.ت، 58/1).

* وتوثيقه لمُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن طلحة الخزاعي، قال البخاري: "قال لي عليّ: مُحَمَّد ثقة" (البخاري، د.ت، 135/1).

ثانياً. اعتماد أحكامه في جانب تجريح الرواة:

* فقد كان البخاري يرى ما يراه شيخه علي في تجريحه لبعض الرواة، ففي ترجمة بِشر بن حرب أبي عمرو النَّدْبيّ، قَالَ أَبُو عَبْد اللَّه: "رأيتُ علي بْن المديني يُضعفه" (البخاري، د.ت، 2/ 71).

* وفي ترجمة ثُمامة بْن عُبَيْدة العبدي: قال البخاري: "ضعّفه علي ونسبه إلى الكذب" (البخاري، د.ت، 2/ 172).

* وفي ترجمة عَبْد الرَّحْمَن بْن زيد بْن أسلم مولى عُمَر بْن الْخَطَّاب الْقُرَشِيّ المديني: قال البخاري: "ضعّفه علي جداً" (البخاري، د.ت، 284/5).

* وكذا الحال في ترجمة حماد بن عمرو النُّصَيْبيّ: قال البخاري: "منكر الحديث، ضعّفه علي وابن حُجْر" (البخاري، 2005، ص: 50).

* وقال البخاري في ترجمة عمرو بن حكّام البصري: "ضعّفه علي والنّاس" (البخاري، 2005، ص: 100).

* وتحاورا -أيّ علي وتلميذه البخاري- ذات يومٍ في شأن بكر بْن قُرواش وحاله، فقال البخاري: "قال لِي علي لم أسمع بذكره إلا فِي هذا وحديث قتادة. قَالَ علي: ما تَقُولُ فِي بكر بْن قرواش؟ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّه: وَفِيهِ نظر" (البخاري، د.ت، 94/2).

ج- ومن بغداد: الإمام أحمد بن حنبل(ت:241هـ) الحافظ، الحجة، الجهبذ، يُعدُّ من نقاد الحديث المعتدلين في نقد الرجال، وكتابه العلل ومعرفة الرجال خير شاهد على تميّزه وتفوقه في هذا المضمار، وممّا يؤكدّ إفادة البخاري منه مجالسته له حينما دخل بغداد ثمان مرّات، وهي كفيلة بتكوين هذا النهج المعتدل في فكر البخاري خاصة إذا علمنا مدى ما كان يحرص عليه أولئك الأئمّة من التذكير بالحديث ومتعلقاته من الجِلسة الواحدة فكيف بالثمان جِلسات؟ ومن الشواهد التطبيقيّة على تأثره به:

أولاً. اعتماد أحكامه في جانب توثيق الرواة، ومن ذلك:

* "قال أحمد بن حنبل حدثنا سعد بن إبراهيم، قال: حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني ثور بن يزيد الكُلاعيّ، وَكَانَ ثِقَةً، عن محمد بن عبيد بن أبي صالح المكيّ" (البخاري، د.ت، 171/1).

ثانياً. اعتماد أحكامه في جانب تجريح الرواة، ومن ذلك:

* قوله في ترجمة يزِيد بن عبد الْملك بن الْمُغِيرَة، قَالَ أَحْمد بن حَنْبَل: عِنْده مَنَاكِير" (البخاري، 2005، ص: 121).

* وفي ترجمة حُصين بْن عُمَر أبو عُمَر الأحمسي، نقل تضعيف أحمد له، حيث قال: "كوفي، منكر الحديث، ضعّفه أحمد" (البخاري، د.ت، 10/3).

* وكذلك في ترجمة عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ حَبِيبٍ الْأَزْدِيُّ الْعَوْذِيُّ، قال: "لَيِّنُ الْحَدِيثِ، ضَعَّفَهُ أَحْمَدُ" (البخاري، د.ت، 106/6، و2005، ص: 78).

* وقال في ترجمة مُوسَى بْن عُبَيْدة بْن نشيط: "منكر الحديث، قَالَه أَحْمَد بْن حنبل" (البخاري، د.ت، 291/7).

المطلب الثالث: تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين في ميدان علم العلل والنقد الحديثي

وميدان علم العلل من الميادين الدقيقة التي لا يرتادها إلا فرسان وهبهم الله تعالى فهماً ثاقباً، وخبرةً حديثيّةً واسعة، وذوقاً حديثياً أخاذاً، فعلم الحديث لا يُعطى لأيّ أحد، بل لمن وفقه الله فأخلص في طلبه، وجدّ السير وحثّه في ركبه، والإمام البخاري ممّن اختارهم الله واصطفاهم لهذه المهمّة الشاقة، فكان من فرسانه، طلب العلم صغيراً، فألهمه الله حفظ الحديث وهو في الكُتّاب، إلى أن شبَّ وقوي فيه عوده، فتتلمذ على أيدي كبار أئمّة النقد في زمانه، كأبي نُعيم الفضل بن دكين، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثر، وأحكامهم سابقة الذكر خير شاهدٍ على

ذلك، أفاد من مخزونهم الفكريّ النقديّ في صناعة الحديث ورسمه، فاعتمد قواعدهم العامّة المتعلقة بفروعه وبنى عليها، لكن بدا اعتماده على نفسه في ميدان النقد الحديثي واضحاً، فالمتتبّع لمصادره المصنّفة في هذا المجال كالتاريخ الكبير، والضعفاء الصغير يلحظ ذلك جلياً، فجلُّ أحكامه على الرواة توثيقاً أو تجريحاً وعلى الروايات تصحيحاً أو تضعيفاً كانت أقواله وأمّا أقوال شيوخه -وتحديداً العراقيين- فكانت قليلة جداً إذا ما قورنت بها، وهذا إن دلّ على شيءٍ، فإنّما يدل على أصالته وتفوّقه في ميزان النقد الحديثيّ.

المطلب الرابع: تأثر الإمام البخاري بشيوخه العراقيين في صناعة الفقه وأصوله

يُعدُّ الإمام البخاري من كبار الحفاظ، رأساً في الفقه والحديث، شهد له بذلك معاصروه من أئمّة الحديث والفقه في زمانه، ومن ذلك قول نعيم بن حماد: "محمّد بن إسماعيل فقيه هذه الأمّة" (الخطيب البغدادي، 24/2)، وقول إسحاق بن راهويه: "لو كان محمّد بن إسماعيل في زمن الحسن ابن أبي الحسن البصري لاحتاج النّاس إليه، لمعرفته بالحديث وفقهه" (ابن حجر، 9/ 53).

وقال الفِربريّ: "كنّا مع أبي عبد الله عند محمّد بن بشار، فسأله محمّد بن بشار عن حديث فأجابه، فقال: هذا أفقه خلق الله في زماننا وأشار إلى محمّد بن إسماعيل" (الذهبي، 12/ 429)، كما أنّ كتابه الجامع الصحيح من أكبر الدلائل على تميّزه في جانب الفقه وأصوله، حيث أودع تراجم أبوابه من مسائل الفقه وأبوابه الشيء الكثير الكثير، حتى قيل: "فقه الإمام البخاري في تراجمه"، ليس هذا فحسب، بل سلك لتأصيل الفقه فيه مسالك عدّة كان على رأسها مسلك التكرار، وتقطيع الحديث بحسب الأغراض الفقهيّة التي يريد إثباتها لمسائل كتابه.

وقد كان من أبرز شيوخه العراقيين الذين تأثر بهم في صناعة الفقه وأميزهم: علي بن المديني (ت:233هـ)، ويحيى بن معين (ت:234هـ)، وأحمد بن حنبل (ت:241هـ)، وإن كان أحمد أفقههم، والشاهد على ذلك: ما جاء في سؤال ابن أبي حاتم الرازي لأبيه عن أحمد بن حنبل وعلي بن المديني أيّهما كان أحفظ؟ قال: "كانا في الحفظ متقاربين، وكان أحمد أفقه" (ابن أبي حاتم، 1952، 294/1). وأُثِرَ عن أبي زرعة الرازي قوله: "ما رأيت أحداً أجمع من أحمد بن حنبل، وما رأيت أكمل منه، اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة. قيل له: إسحاق بن راهويه؟ فقال: أحمد ابن حنبل أكثر من إسحاق وأفقه من إسحاق، ولم أزل أسمع النّاس يذكرون أحمد بن حنبل يقدمونه على يحيى بن معين وعلى أبي خيثمة" (ابن أبي حاتم، 1952، 294/1).

وسئُل محمد بن مسلم بن وارة عن علي ابن المديني، ويحيى بن معين أيّهما كان أحفظ؟ فقال: "علي كان أسرد وأتقن، ويحيى أفهم بصحيح الحديث وسقيمه، وأجمعهم أبو عبد الله أحمد بن حنبل، كان صاحب فقه، وصاحب حفظ، وصاحب معرفة" (ابن أبي حاتم، 1952، 294/1).

وممّا يؤكدّ تأثر البخاري بشيخه أحمد في صناعة الفقه في صحيحه أنّ أبا يعلى صاحب كتاب طبقات الحنابلة قد ذكره فيهم، ونقل عنه قوله: "سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: إنّما النّاس بشيوخهم فإذا ذهب الشيوخ تَودع من العيش؟ (ابن أبي يعلى، د.ت، 1/ 271-274).

وقال ابن القيّم: "... وكذلك البخاري، ومسلم، وأبو داود، والأثرم، وهذه الطبقة من أصحاب أحمد أتبع له من المقلدين المُحَض المنتسبين إليه" (ابن قيم الجوزية، 1991، 2/ 170-171).

ونلاحظ من خلال ما سبق ذكره من تراجم موجزة لشيوخ البخاري العراقيين كيف أنّهم كانوا يثنون على تلميذهم النجيب، ويشهدون له بالفضل والمكانة، وذلك من إنصافهم وتواضعهم، وتشجيعهم لتلاميذهم، وحثهم لهم على التميّز والإبداع، وهذه من صفات المعلّم الناجح وأخلاقه؛ الذي يرى نفسه في تلاميذه، ولا يجدُ في مدحهم والثناء عليهم عيباً أو منقصة له.

فها هو محمود بن النضر أبو سهل الشافعي، يقول: "دخلتُ البصرة والشام، والحجاز والكوفة، ورأيتُ علماءها كلّما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم" (الذهبي، 1998، 94/10).

وقد أثبت البخاري شخصيته العلمية، وتفوقه على نظرائه، وقصته التي وقعت في البصرة، ونقلها حاشد بن إسماعيل تؤكد ذلك، حيث قال: "كان الإمام البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيّام، فلمناه بعد ستة عشر يوماً، فقال: قد أكثرتم عليّ فاعرضوا عليّ ما كتبتم، فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نُحكِّم كتبنا من حفظه" (ابن حجر،1379، 448/1).

وقد كرّم شيوخه لأجله من كان يأتيهم من بلده خراسان، يقول محمد بن يوسف: "لمّا دخلتُ البصرة صرتُ إلى بُنْدار، فقال لي: من أين أنت؟ قلتُ: من خراسان، قال: من أيُّها؟ قلتُ: من بخارى، قال: تعرف محمد بن إسماعيل؟ قلتُ: أنا من قرابته، فكان بعد ذلك يرفعني فوق الناس" (الذهبي، 1998، 94/10).

وقد كانوا يفتخرون به وبعلمه حتى قبل أن يروه، يقول البخاري: "لمّا دخلتُ البصرة صرتُ إلى مجلس بُندار، فلمّا وقع بصره عليّ قال: من أين الفتى؟ قلتُ: من أهل بخارى، فقال لي: كيف تركتَ أبا عبد الله؟ فأمسكت، فقالوا له: يرحمك الله هو أبو عبد الله، فقام، وأخذ بيدي وعانقني، وقال: مرحباً بمن أفتخر به منذ سنين" (الذهبي، 1998، 95/10).

بل ومنهم من عدّه أنّه أعلم من دخل العراق كأبي حاتم الرازي الذي قال: "محمّد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق". (الذهبي، 1998، 99/10)، "وقال إسحاق بن زبرك: سمعتُ محمد بن إدريس الرازي يقول في سنة سبع وأربعين ومائتين: يقدُم عليكم رجل من خراسان، لم يخرج منها أحفظ منه، ولا قدم العراق أعلم منه، فقدم علينا الإمام البخاري" (الذهبي، 1998، 100/10).

المطلب الخامس: تلاميذ الإمام البخاري العر اقيين، ومدى تأثيره في صياغة شخصياتهم العلمية وصقلها

أخذ العلم عن الإمام البخاري عددٌ كبيرٌ من التلاميذ يصعبُ إحصاؤهم، كما أكّد على ذلك النووي، حيث قال: "وأمّا الآخذون عن البخاري، فأكثر من أن يُحصروا، وأشهر من أن يُذكروا، وقد رُوِّينا عن الفِرَبْرى، قال: سمع الصحيح من البخاري سبعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه غيري"(النووي، د.ت، 73/1).

وقد مضى بيان مكانة العراق في مسيرة حياة الإمام البخاري العلمية، وكيف أنّه قد دخلها أكثر من مرة طالباً للعلم مستفيداً تارة، ينهل من خيرات علمائها، حتى تشكّلت لديه الحصيلة العلمّية التي أهلته لدخولها والجلوس فيها معلّماً مُفيداً تارةً أخرى، وقد تسابق التلاميذ العراقيون (البصريون، والكوفيون، والبغداديون) للسماع منه والنهل من معين علمه الغزير، حتى اكتظت مجالس البخاري بعدد كبير منهم، وهو لا يزال في سنٍّ صغيرة، فقد روى محمد بن أبي حاتم قال: "سمعتُ حاشد بن إسماعيل، وآخر يقولان: كان أهل المعرفة بالبصرة يَعْدُون خلف الإمام البخاري في طلب الحديث، وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويُجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممّن يكتب عنه. قالا: وكان أبو عبد الله عند ذلك شاباً لم يخرج وجهه" (الذهبي، 1985، 10/ 103).

ومن الأيام المشهودة للبخاري في دخوله للعراق معلّماً وهو في سنّ صغيرة يوم دخوله البصرة، وقد روى الخطيب البغدادي هذه القصة عن يُوسُف بن مُوسَى الْمَرْوَرُوذِيُّ قال: "كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ فِي جَامِعِهَا إِذْ سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي: يَا أَهْلَ الْعِلْمِ، قَدْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ، فَقَامُوا فِي طَلَبِهِ، وَكُنْتُ مَعَهُمْ، فَرَأَيْنَا رَجُلاً شَابًّا لَمْ يَكُنْ فِي لِحْيَتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ يُصَلِّي خَلْفَ الأُسْطُوَانَةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ أَحْدَقُوا بِهِ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَعْقِدَ لَهُمْ مَجْلِسَ الإِمْلاءِ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَقَامَ الْمُنَادِي ثَانِيًا فَنَادَى فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ: قَدْ قَدِمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ، فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَعْقِدَ مَجْلِسَ الإِمْلاءِ فَقَدْ أَجَابَ بِأَنْ يَجْلِسَ غَدًا فِي موضع كَذَا. قَالَ: فَلَمَّا أَنْ كَانَ بِالْغَدَاةِ حَضَرَ الْفُقَهَاءُ وَالْمُحَدِّثُونَ وَالْحُفَّاظُ وَالنُّظَّارُ حَتَّى اجْتَمَعَ قَرِيبٌ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا، فَجَلَسَ أَبُو عَبْدِ الله محمّد بن إِسْمَاعِيلَ للإِمْلاءِ فَقَالَ: قَبْلَ أَنْ أَخُذَ فِي الإِمْلاءِ قَالَ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، أَنَا شَابٌّ، وَقَدْ سَأَلْتُمُونِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ وَسَأُحَدِّثُكُمْ بِأَحَادِيثَ عَنْ أَهْلِ بَلَدِكُمْ تَسْتَفِيدُونَ الْكُلَّ.

قَالَ فبقي النّاس متعجبين مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الإِمْلاءِ فَقَالَ نبأنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي بلديكم قال أنبأنا أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، فَذَكَرَ حَدِيثَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" (البخاري، 1422هـ، كتاب: الأدب، باب: علامة حب الله عز وجل، رقم6168، 6169، 6170، ج8، ص39).

ثم قَالَ محمّد بن إسماعيل: هذا ليس عندكم إنّما عندكم عن غير منصور عن سالم، قَالَ يوسف بن موسى: وأملى علينا مجلساً على هذا النسق، يقول في كل حديث روى شعبة هكذا، الحديث عندكم كذا، فأمّا من رواية فلان فليس عندكم أو كلاماً ذا معناه" (الخطيب البغدادي، 2/15-16).

وهذه القصة تدلُّنا على سعة علم الإمام البخاري ودقته، وبراعته في علم العلل تحديداً، وكيف أنّه كان يعلم طرق أحاديث كلّ بلد من البلدان، والطرق الأخرى المنسوبة لهم، وهي ليست من مروياتهم، وهذا أمرٌ لا يتقنه إلّا من حذق فنون هذا العلم وتمرّس فيه.

أمّا بغداد فله مع تلاميذها حكايةٌ أخرى، فقد دخلها كثيراً وروى عنه منها خلق كثير كما أشار إلى ذلك الخطيب البغدادي بقوله: "... وورد بغداد دفعات وَحدّث بها فروى عنه من أهلها: إِبْرَاهِيم بْن إِسْحَاق الحربي، وعبد اللَّه بْن محمد بن ناحية، وقاسم بْن زكريا المطرز، ومُحَمَّد بْن مُحَمَّد الباغندي، ويحيى بْن مُحَمَّد بن صاعد ومحمد بن هارون الحضرمي، وآخرُ من حدّث عنه بها الحسين بن إسماعيل المحاملي" (الخطيب البغدادي، 5/2).

وفيما يلي تعريف موجز لعدد من تلاميذ الإمام البخاري:

1- إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي: الشيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام أبو إسحاق، الحربي، صاحب التصانيف، قال أبو بكر الخطيب: "كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالأدب، جماعة للغة، صنف "غريب الحديث"، وكتباً كثيرة، وأصله من مرو، توفي سنة (285هـ) (الذهبي، 1985، 13/ 357).

2- الحسين بن إسماعيل بن محمد المحاملي: القاضي الإمام العلامة المحدث الثقة مسند الوقت ومصنف السنن، قال أبو بكر الداودي: "كان يحضر مجلس المحاملي عشرة آلاف رجل، عقد سنة سبعين ومائتين بالكوفة في داره مجلساً للفقه، فلم يزل أهل العلم والنظر يختلفون إليه، توفي سنة (303هـ)" (الذهبي، 1985، 15/ 259).

3- يحيى بن محمد بن صاعد: الإمام الحافظ المجود، محدّث العراق أبو محمد الهاشمي البغدادي، مولى الخليفة أبي جعفر المنصور، رحال جوال، عالم بالعلل والرجال، قال أبو عبد الرحمن السلمي: "سألتُ الدارقطني عن يحيى بن محمد بن صاعد، فقال: ثقة ثبت حافظ، وقال الحاكم:

سمعت أبا علي الحافظ يقول: لم يكن بالعراق في أقران أبي محمد بن صاعد أحد في فهمه، والفهم عندنا أجل من الحفظ توفي سنة (318هـ) (الذهبي، 1985، 14/ 502).

وقد روى النووي عن صالح بن محمد جزرة، قال: "كان البخاري يجلس ببغداد، وكنت أستملى له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفًا، وروينا عن محمد بن يوسف بن عاصم، قال: كان للبخارى ثلاثة مستملين، واجتمع فى مجلسه أكثر من عشرين ألفًا" (الخطيب البغدادي، 20/2، والنووي، 70/1).

وقد بلغ من مكانته لديهم أنّهم كتبوا إليه: "المسلمون بخير ما بقيت لهم... وليس بعدك خير حين تفتقد" (الذهبي،1998، 101/10).

ولعلّ ذلك يعود إلى حادثة امتحانهم الشهيرة لحفظه وعلمه، التي أثبت فيها الإمام البخاري براعته في العلم وكثرة محفوظاته، ممّا دفعهم جميعاً للإشادة به والتدافع فيما بعد على مجالس علمه.

وقد روى الخطيب البغدادي هذه الحادثة الشهيرة عن عدة مشايخ تحت باب: "ذكرُ عقد البخاري مجلس التحديث ببغداد وامتحان البغداديين له"، "أنّ محمّد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلمّا اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فما زال يُلقى عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول لا أعرفه. فكان الفهماء مّمن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثمّ انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال لا أعرفه، فلم يزل يُلقى عليه واحداً بعد آخر حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثمّ انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلُّهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه. فلمّا علم البخاري أنّهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال: أمّا حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فردّ كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقرّ له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل" (الخطيب البغدادي، د.ت، 20/2).

الخاتمة والتوصيات

وفي نهاية هذا البحث نعرض بصورة موجزة لأهم نتائجه وتوصياته، وهي كالتالي:

1- لا يوجد اختلاف بين مدرسة الحديث العراقية، ومدارس الأمصار الأخرى في المناهج والملامح العامّة المشتركة بين أهل التخصص الواحد، وإنّما الاختلاف يكمن في أسماء الرواة من الصحابة، ومن بعدهم ونشاطهم وما لهم من تأثير علمي.

2- بدأ الإمام البخاري رحلته العلميّة منذ سنّ مبكرة، وقد أثنى العلماء على حفظه، وسعة علمه وذكائه، واعترفوا له بالفضل، وقد ترك وراءه إرثاً معرفياً عظيماً على رأسه كتابه الصحيح الذي يدلُّ على براعته، ورسوخ قدمه في العلم.

3- ارتحل الإمام البخاري في طلب العلم إلى بلدان متنوعة، وذلك أنّه كغيره من طلبة العلم أدرك ما للرحلة في الطلب من الفوائد العظيمة، فتنقل بجوب الأمصار المختلفة مُتعلّماً ومُعلِّماً، ومن بين تلك الأمصار كانت العراق بأقطارها المتعددة التي دخلها أكثر من مرةٍ واحدة كما صرّح هو بذلك في مواطن كثيرة.

4- تتلمذ الإمام البخاري على أيدي عدد كبير من الشيوخ العراقيين، كالبصريين الذين كان رأسهم علي بن المديني الذي كان عالماً بالعلل، فلا يستغرب براعة البخاري في علم العلل بعد ذلك، أو الكوفيين مثل: الفضل بن دكين، وهو من كبار شيوخه، وحدّث عنه كثيراً، أو البغداديّن الذين لو لم يكن منهم غير الإمام أحمد بن حنبل لكفى.

5- بدا الإمام البخاري مستقلاً في عقليته النقدية الفذة، حيث اعتمد على نفسه أكثر من اعتماده على شيوخه في الحكم على الرواة ومروياتهم.

6- تسابق التلاميذ العراقيين، للسماع من الإمام البخاري، والنهل من معين علمه الغزير، حتى إنّ مجالسه كانت تكتظ بعدد كبير منهم، وهو لا يزال في سنٍّ صغيرة.

7- نقل العلماء أدلة كثيرة تثبت أنّ العراقيين شيوخاً كانوا أو تلاميذاً، كانوا يحترمون الإمام البخاري ويقدرونه، ويستقبلونه بحفاوة بالغة، تدلُّ على طيب أصلهم ودماثة أخلاقهم وحرصهم على العلم والتعلُّم.

ومن أبرز التوصيات:

1- توصي الدراسة الأوساط العلميّة والأكاديميّة بالعناية بما يتعلق بمدرسة الحديث العراقية، من حيثُ معرفة مناهجها وأبرز أعلامها، وتأثرها وتأثيرها في المدارس الأخرى.

2- وتوصي أيضاً الباحثين وطلبة العلم عدم إغفال علم بلدان الرواة وأوطانهم، لما له من أهمية كبيرة في الكشف عن أحوال الرواة، ومعرفة الاتصال من عدمه، وهذا العلم يتحقق من خلال دراسة مناهج المدارس الحديثية في الأمصار الإسلاميّة.

3- كما وتوصي الباحثين بعدم إغفال علم التاريخ، وضرورة الربط بين الحضارة والعلم، وأنّ ازدهار الأمة حضارياً يؤدّي إلى ازدهارها في شتى نواحي الحياة، ومنها الحياة العلمية.

المصادروالمراجع

ابن الأثير، م. (1972). *جامع الأصول في أحاديث الرسول*. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون. (ط1). لبنان: مكتبة دار البيان.

ابن أبي يعلى، أ. (د. ت). *طبقات الحنابلة*. تحقيق: محمد حامد الفقي. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.

البخاري، م. (1422). *الجامع الصحيح*. تحقيق: محمد زهير الناصر. لبنان: دار طوق النجاة.

البخاري، م. (2005). *الضعفاء الصغير*. تحقيق: أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين. (ط1). السعودية: مكتبة ابن عباس.

البخاري، م. (د. ت). *التاريخ الكبير*. حيدر آباد – الدكن: دائرة المعارف العثمانية.

البستي، م. (1973). الثقات. (ط1). حيدر آباد – الدكن: دائرة المعارف العثمانية.

البستي، م. (1991). *مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار*. تحقيق: علي مرزوق إبراهيم. (د. ط). المنصورة: دار الوفاء.

البغدادي، أ. (1359). *الرحلة في طلب الحديث*. تحقيق: نور الدين عتر. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

البغدادي، أ. (د. ت). *تاريخ بغداد*. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

الترمذي، م. (1975). *جامع الترمذي*. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. (ط2). مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الحمداني، ط. (2012). الإسهامات الحضارية لبعض علماء العراق في القرن الرابع الهجري. *مجلة البحوث والدراسات الإسلامية*، المجلد (26)، العدد (43)، (ص:5).

ابن حنبل، أ. (2001). *المسند*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن خلدون، ع. (1988). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)*. تحقيق: خليل شحادة. (ط2). بيروت: دار الفكر.

أبو داود، س. (د. ت). *السنن*. تحقيق: محمد محيي الدين. (د. ط). بيروت: المكتبة العصرية.

ديورَانت، و. (1988). *قصة الحضارة*. ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون. (د. ط). بيروت: دار الجيل. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

الذهبي، م. (1985). *سير أعلام النبلاء*. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. (ط3). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، م. (1990). *ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. (ط4). بيروت: دار البشائر.

الذهبي، م. (1998). *تذكرة الحفاظ*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، ع. (1952). *الجرح والتعديل*. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الرامهرمزي، أ. (1404). *المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي*. تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب. (ط3). بيروت: دار الفكر.

ابن رجب الحنبلي، ع. (1978). *شرح علل الترمذي*. تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد. (ط1). الأردن: مكتبة المنار.

ابن سعد، م. (1968). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: إحسان عباس. (ط1). بيروت: دار صادر.

عبيَّة، ط. (2004). *الحضارة الإسلامية- دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

العسقلاني، أ. (1326). *تهذيب التهذيب*. (ط1). الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية.

العسقلاني، أ. (1379). *هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري*. رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. (ط1). بيروت: دار المعرفة.

أبو عمارة، م. (2010). *المدارس الحديثية: النشأة والتطور*. (ط1). القاهرة: مكتبة الإيمان.

القشيري، م. (1991). *الجامع الصحيح*. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. (ط1). القاهرة: دار الحديث.

القضاة، أ. (1998). *مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري*. (ط1)، عمان: دار ابن حزم.

القوفي، ح. (2017). مدرسة الحديث في الكوفة. *مجلة: المعيار جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*. الجزائر. قسنطينة. المجلد(20)، العدد(14)، (ص:9-10).

ابن قيم الجوزية، م. (1991). *أعلام الموقعين عن رب العالمين*. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

المزي، ي. (1980). *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. تحقيق: بشار عواد معروف، (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

مصطفى إ. وآخرون (أ. ح. م). *المعجم الوسيط*. ((د. ط). مصر: دار الدعوة والمكتبة الإسلامية.

النووي، أ. (د. ت). *تهذيب الأسماء واللغات. عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله*. (د. ط) شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو يعلى الخليلي، خ. (1409). *الإرشاد في معرفة علماء الحديث*. تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس. (ط1). الرياض: مكتبة الرشد.

References

Abu Amara, M. M. (2010). *Modern Schools: Origin and Development*. Cairo: Faith Library.

Abu Dawood, S. A. (n.d.). *Al-Sunan*. Edited by: Muhammad Muhyiddin. Beirut: The Modern Library.

Al-Asqalani, Ibn Hajar, A. A. (1326). *Tahdheeb Al-Tahdheeb*. India: Systematic Knowledge Circle Press.

Al-Asqalani, Ibn Hajar , A. A. (1379). *Huda Al-Sari, Introduction to Fateh Al-Bari*. *Sharh Sahih Al-Bukhari*, Edited by: Muhammad Fuad Abd al-Baqi. Beirut: Dar Al-Maarifa.

Al-Bukhari, M. I. (2002). *Aljamie Alsahihi*. Edited by: Muhammad Zuhair Al-Nasser. Beirut: Dar Touq Al-Najat.

Al-Bukhari, M. I. (n.d.). *The Great History*. The Ottoman Knowledge Department, Hyderabad - Deccan.

Al-Busti, M. H. (1973). *Al-Thiqaat*. India: The Ottoman Encyclopedia of Hyderabad, Deccan.

Al-Busti, M. H. (1991). *Eulama' Mashahir Alaimsar*. Edited by: Ali Marzuq Ibrahim. Mansoura: Dar Al-Wafa.

Al-Dhahabi, M. A. (1985). *Sayr 'Aelam Alnubla'*. Edited by: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Al-Arnaout. Beirut: The Resala Foundation.

Al-Dhahabi, M. A. (1998). *Tadhkirat Alhifaz*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Hamdani, T. A. (2012). Civilizational Contributions of Some Iraqi Scholars in the Fourth Hijri Century, *Journal of Islamic Research and Studies*. Vol.26. Divan of the Sunni Endowment Center for Research and Islamic Studies.

Al-Khalili, Abu Ali , K. A. (1409). *Al'iirshad fi Maerifat Eulama' Alhadith*. Edited by: Dr. Muhammad Saeed Omar Idris. Riyadh: Al-Rushd Library.

Al-Khatib Al-Baghdadi, A. T. (1359). *Alrihlat fi Talab Alhadith*. Edited by: Nour Al-Din Ater. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Khatib Al-Baghdadi, A. T. (1422). *History of Baghdad*. Beirut: Arab Book House.

Al-Mazi, Y. A. (1980). *Tahdheeb Alkimal fi 'Asma' Alrijal*. Edited by: Bashar Awad Maarouf. Beirut: Foundation for the Message.

Al-Nawawi, A. M.Y. (n.d.*). Tahdhib Al'asma' Wallaghat*. Commenting on and Interviewing its Origins: The Scholars Company with the Help of the Muniriya Printing Department. Beirut: Dar Al Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Qoufi, H. (n.d.). *School of Hadith in Kufa*. Standard Prince Abdelkader. Issue 14. University for Islamic Sciences, Algeria, Constantine.

Al-Qudah, A. M. (1998). *Hadith School in Basra until the third century AH*. Beirut: Dar Ibn Hazm.

Al-Qushari, M. (1991). *Al-Jami Al-Sahih*. Numbering: Muhammad Fuad Abd Al-Baqi. Cairo: Dar Al-Hadith.

Al-Ramhurmzi, A. A. (1404). *Almhddith Alfasil Bayn Alrawy Walwaei*. Edited by: Muhammad Ajaj Al-Khatib. Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Tirmidhi, M. I. (1975). *Jami 'Al-Tirmidhi*. Edited by: Ahmad Muhammad Shaker and others. Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Press Company.

Durant, W. J. (1988). *The Story of Civilization*. Translated by: Dr. Zaki Naguib Mahmoud and others. Beirut: Dar Al-Jeel, and Tunisia: The Arab Organization for Education, Culture and Science.

Ibn al-Atheer, M. A. M. (1969). *Jamie Al'usul fi 'Ahadith Alrusuli*. Edited by: Abd al-Qadir al-Arna'ut. Halawani Library, Al-Malahh Press.

Ibn Khaldun, A. M. I. (1988). *History of Ibn Khaldun*. (in Arabic). Edited by: Khalil Shehadeh. Beirut: Dar Al-Fikr.

Ibn Rajab, H. A. (1978). *Sharh Ealal Altarmadhi*. (in Arabic). Edited by: Humam Abd al-Rahim Saeed, Jordan: Al-Manar Library.

Ibn Saad, M. S. (1968). *Altabaqat Alkubraa*. (in Arabic). Edited by: Ihssan Abbas. Beirut: Dar Sader.

Mustafa, I. et al. (n.d.). *Al-Waseet Lexicon*, Egypt: Dar al-Da`wah and the Islamic Library.

Ubayya, T. A. A. (2004). *Islamic Civilization - A Study in the History of Islamic Sciences*. (in Arabic). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiah.